

دور المسلمين فى اكتشاف المنهج العلمى المعاصر

فضل المسلمين فى نقد العلية واكتشاف المنهج العلمى المعاصر :

كان للمسلمين الدور الأساسى فى ظهور المنهج العلمى المعاصر ، وذلك بعد تقديمهم لضرورة العلية . وقولهم بأن العلية ليست حتمية . وهو ما قال به هيوم نقلا عن المسلمين ، وبخاصة الأشاعرة . وذلك بشهادة علماء الغرب أنفسهم مثل رينان الذى يقول إن هيوم تأثر بالأشاعرة فى موقفهم من العلية .

والأشاعرة لا ينفون العلية وما يترتب عليها من نظام فى الكون . ولكن ينفون فقط حتميتها ، لكى يثبتوا قدرة الله على مخالفة قانون العلية ، ويثبتوا بالتالى المعجزات .

وموقف الأشاعرة هذا يردون به على المعتزلة المتأثرين بأرسطو فى قولهم بأن العلية مؤثرة بذاتها . أى أن المعتزلة يرون أن النار مثلا محركة بذاتها ، وأنها علة الاحتراق الوحيدة دون تدخل علة أو إرادة أخرى . أما الأشاعرة فيرون أن النار ليست حارقة بذاتها لأنها جماد

لا فعل لها ، وأنها لا تحرق إلا إذا خلق الله قدرة الحرق فيها . وأن النار لو كانت حارقة بذاتها لحرقت سيدنا إبراهيم . كما يعطى الغزالي مثالا آخر لذلك فيقول : إن خلق الروح والحواس في النطفة ليس من خلق الأب ولا الطبيعة ، والعلة الوحيدة هي الله . وأى علة أخرى سواه ليست إلا اطرادا للعادة .

وهذا فهم دقيق لحقيقة العلية قال به الأشاعرة. وأخذه عنهم هيوم الذى يقول إن علاقة العلة بالمعلول ليس لها وجود فعلى فى الواقع . بل هى مجرد عادة عقلية . تكونت نتيجة تتابع الظاهرة مرات كثيرة . فنحن حينما نرى الظاهرة « أ » تتبع الظاهرة « ب » فى الوجود مئات المرات ، فإننا نتعود الأمر ونعتقد أن الظاهرة الثانية تلزم بالضرورة عن الظاهرة الأولى . كما لو كانت هذه الضرورة من طبيعة الظاهرتين . فى حين أن هذه الضرورة مجرد وهم اعتقدناه بسبب ما تعودناه من تكرار وتتابع الظاهرتين ، وأنه لا توجد ضرورة عقلية تحتم ذلك . وهو بذلك لا ينفى العلية ولكنه ينفى ضرورتها . ونص كلام البقلانى الذى تأثر به هيوم هو (أن سبب تكرار حادثتين الواحدة بعد الأخرى يجعلنا نقول بتلازمهما بحكم العادة . فى حين أنه لا ضرورة عقلية تحتم ذلك ، بدليل أن القدرة الإلهية قد تدخل وتخرق العادة)^(١) .

المؤلف يتجاهل دور المسلمين فى اكتشاف المنهج العلمى المعاصر :

وينسب الفضل إلى هيوم فى نقض مبدأ العلية الذى أدى إلى اكتشاف المنهج المعاصر ويتجاهل دور المسلمين رغم أهميته ورغم اعتراف الغرب لهم به .

المؤلف يناقض نفسه فى موقفه من هيوم :

حيث قال عنه فى كتاب المنطق أقوالا تناقض ما قاله عنه فى كتاب الفلسفة وذلك عند شرح موقف هيوم من العلية . فقد أشاد بهيوم فى كتاب المنطق ص ١٢٥ ، واعتبر موقفه من العلية سببا فى ظهور المنهج العلمى المعاصر . وفى نفس الوقت ذم هيوم فى كتاب الفلسفة صفحة ٩٣ ، واعتبر موقفه من العلية سببا فى هدم العلم وإنكار العقل والشك فى وجود الله . فكيف يحدث هذا التناقض رغم أن مؤلفى الكتابين واحد .



(١) مذكرات فى المنطق الأرسطى ص ١٤١ ، ١٤٢ للدكتور محمد جلال شرف .